

## بسم الله الرحمن الرحيم

## نساء رباهن القرآن

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه و امتنانه .. والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين .. وعلى من سار على نهجه إلى يوم الدين .. أما بعد :

أخواتي الكريمات .. إن من يتأمل واقعنا .. يجد أن المرأة في بلادنا .. تواجه تحديات صعبة .. ومنعطفات خطيرة .. تحتاج من المرأة .. أن تحتاط لنفسها ، وأن تسعى لتنمية إيمانها ، فالبلايا قد كثرت .. ودعاة الشر قد أجليوا بخيلهم ورجلهم .. والفتن في هذا الزمن قد عمت .. فتنة القنوات الفضائية وما فيها من البرامج الهابطة .. والأفلام الساقطة .. وفتنة المجلات والصحف وما فيها من الانحرافات الفكرية .. وفتنة اللباس والموضات .. وما فيها من التعري الفاضح في التجمعات النسائية .. وفتنة التشبه بالنساء الأجنبية .. من فنانات وممثلات ومغنيات وغيرهن من الساقطات .. سواء كن عربيات أو غربييات .. وفتنة الصديقات في المدارس والجامعات .. وفتنة الجوالات والهواتف وعالم الإنترنت وبرامج الشاة .. كلها فتن تدعو الإنسان إلى السقوط في الهاوية .. ومن أجل هذا أحببت أن أذكر للأخوات الفاضلات اللاتي ثبتن على طريق الخير والإيمان .. وسلكن دروب الجود والإحسان .. أن لهن أخوات فاضلات .. ومؤمنات صالحات .. سرن على نفس الدرب فوجدن بإذن الله تعالى خيرا كثيرا .. ونقول للأخوات المسرفات على أنفسهن .. ها هي المواقف الرائقة .. والقصص الفائقة .. لنساء سابقات .. وفتيات مؤمنات .. ابتعدن عن طرق الغواية .. وكبحن نفوسهن عن مسالك الشيطان فعوضهن الرحمن حلوة في قلوبهن .. وراحة في نفوسهن .. وسعادة في أفئدتهن .. وقد حان الآن أن نشرع في المسير في صفحات نساء رباهن القرآن .. ننهل من سيرهن .. ونقطف من ثمارهن ..

## المبادرة إلى الخيرات

لقد رب القرآن الكريم النساء على التسابق في الخيرات .. والمبادرة إلى فعل الطاعات .. فيها هو سبحانه يصف المؤمنات والمؤمنات .. بقوله : { ويسارعون في الخيرات .. } .. وهذه الخيرات .. لها أصناف كثيرة .. وأشكال عديدة .. فهن يتهافتن على الخيرات المتعدية .. دون الاقتصار على الصلاة والصيام .. فهذه أسماء بنت زيد الأنصارية أحد نساء بني عبد الأشهل .. روي عنها أنها أتت النبي ﷺ فقالت : إني رسول من ورأيي من جماعة نساء المسلمين كلهن يقلن بقولي وعلى مثل رأيي .. إن الله تعالى بعثك إلى الرجال والنساء .. فأما بك .. واتبعناك .. ونحن معشر النساء .. مقصورات مخدرات .. قواعد بيوت .. ومواضع شهوات الرجال .. وحاملات أولادهم .. وإن الرجال فضلوا بالجمعيات .. وشهود الجنائز والجهاد .. وإذا خرجوا للجهاد .. حفظنا لهم أموالهم

.. وربينا أولادهم .. أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله ؟ فالتفت رسول الله ﷺ بوجهه إلي أصحابه فقال : هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها من هذه ؟ فقالوا : بلى والله يا رسول الله .. فقال رسول الله ﷺ : انصرفي يا أسماء .. وأعلمي من ورائك من النساء .. أن حسن تبعل إحداكن لزوجها .. وطلبها لمرضاته .. واتباعها لموافقته .. يعدل كل ما ذكرت للرجال .. فانصرفت أسماء .. وهي تهلل وتكبر استبشاراً بما قال لها رسول الله ﷺ ..

الله أكبر .. هكذا كان هم نساء الصحابة رضوان الله عليهن .. يكن يحملن هم هذا الدين .. ويتمنين شهود الجمعيات .. وحضور الجنائز .. والمشاركة في ساحات الجهاد في سبيل الله تعالى .. لا من أجل المفاخرة .. ولكن طلباً لرفعة الدرجات .. ونيل المكرمات .. من رب الأرض والسماوات ..

فحيهلا إن كنت ذا همة فقد      حدا بك حادي الشوق فاطو المراحل  
ولا تنتظر بالسير رفقة قاعد      ودعه فإن العزم يكفيك حاملا

ما كانت الهموم تنصب على الموضات والقصات .. ولا التفاخر بالمساكن والمنازل وأخر الموضات .. بل كن رضي الله عنهن يغبطن الرجال على الفضل الذي أعطاهم الله تعالى إياه ..

علي قدر أهل العزم تأتي العزائم      وتأتي علي قدر الكرم المكارم  
وتعظم في عين الصغير صغارها      وتصغر في عين العظيم العظائم

وجاءت مجموعة من النساء إلى رسول الله ﷺ تشكو .. فبما ترى ما الذي تشكوه النساء اللاتي قدمن إلى رسول الله ﷺ .. هل يشكين أزواجهن !!؟ هل يشكين على عدم الرحلات والطلعات .. ماذا تشكو النساء يا ترى ؟ تقول : يا رسول الله غلبنا عليك الرجال ؟ نعم غلب عليك الرجال يا رسول الله .. فدائماً تجالسهم .. ودائماً تعلمهم .. ودائماً تذكرهم .. ونحن ما نصيينا منك !!؟ ما حظنا من التذكير والتدريس !! ما نصيينا من التعليم !!؟

ويجيب النبي ﷺ ويخصص لهن يوماً يلقاهن فيه فيحدثهن بأمر هذا الدين ..

وإذا كانت النفوس كباراً      تعبت في مرادها الأجسام

وهكذا أنت يا رعاك الله .. اجتهد في التزود من العلوم الشرعية .. والأداب المرعية .. فما أجمل أن تكون المرأة في بيتها قد وضعت جهاز التسجيل .. تسمع درساً علمياً .. أو محاضرة تربوية .. أو تسمع نوراً على الدرب .. وقد رتبت وقتها لنلأ تفوتها البرامج المفيدة .. وقد التحقت بدار لتحفيظ القرآن الكريم .. تتهل من معين القرآن .. وتتعلم ما يلقي عليها من دروس علمية .. فأخذت من كتاب ربها .. وسنة نبيها .. نصيباً عظيماً .. وهذا ظننا فيك أيتها المسلمة ..

### الوقوف عند حدود الله تعالى

وربي القرآن الكريم المرأة المسلمة .. على الوقوف عند حدود الله تعالى .. فما أن تسمع المرأة المسلمة أن هذا الشيء أمر به الله تعالى أو وجه به رسول الله صلى الله عليه

وسلم .. إلا وتبادر بالاستجابة والتنفيذ .. وما إن يطرق سمعها أن هذا فعل نهى عنه الله ورسوله ﷺ إلا وتسارع إلى تركه والابتعاد عنه .. **استمعي** إلى عمة المصطفى ﷺ صفة رضي الله عنه .. تخرج فتشهد أحداً ، ثم يأتيها الخبر .. أن أختها حمزة رضي الله عنه قد قُتِلَ ومُتِلَ به .. فهل لطمت خدها !؟

وهل نفشت شعرها !؟

وهل رفعت صوتها !؟

كلا ؛ لقد كانت امرأة فوق هذا كله .. أنت رضي الله عنهما بثوبين فأخذتهما .. ثم انطلقت لتواري ذاك الجسد الممزق .. فلما رآها رسول الله ﷺ مقبلة .. قال لأصحابه .. دونكم المرأة .. حتى لا تشرف على منظر كريبه ، منظر يذيب قلوب الرجال فضلاً عن عواطف النساء .. منظر تشفي المشركين من المسلمين وهم أموات ، حيث بُقِرَت البطون ، وجُدعت الأنوف ، وقُطعت الأذان ، وينطلق الزبير بن العوام ليردها فقال : يا أمه .. إليك إليك .. فتلقاه وتقول له : تنحّ لا أمّ لك .. لقد علمت أن أخي قد قُتِلَ ومُتِلَ به .. فعندما رأى الزبير عزم أمه على الذهاب لمشاهدة ما جرى لحمزة رضي الله عنه أستخدم سلاح الإشارة .. وقال : يا أمه إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي !!

فتقف مكانها حتى كأنما غرست في الأرض .. وهي في قمة الأحزان .. بأي هيمنة لأمر رسول الله ﷺ على هذه المرأة المفجوعة .. وأي سلطان للأمر النبوي على نفس تلك المرأة المكروبة .. حقا لقد كان أمر رسول الله ﷺ معظما ، و حكمه نافذا فيهن .. يقول الله تعالى { إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون . ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون }

فيا لله .. أين نساؤنا عن سير هؤلاء المؤمنات ... أي مبادرة سريعة لتنفيذ أمر الله تعالى على ما فيها من الأحزان والألم .. ما قالت .. إليك عني .. أنا في مصيبة .. أنا في محنة وكربة .. أنا في بلية .. بل وقفت مكانها كالجبال الراسية .. فيا لله .. كم من الفتيات اليوم .. اللاتي يتهاون في أداء الصلوات .. وإذا صليتها نقرنها كنقر الغراب .. بلا خشوع ولا خضوع .. إنما هي حركات وتمتمات .. لا روح فيها ولا حياة ..

ولم أر في عيوب الناس عيباً كنقص القادرين على التمام

وتذكرنا هذه الحادثة .. بحادثة تلك الفتاة الرائعة المؤمنة .. تلك الفتاة التي استجابت لأمر رسول الله ﷺ .. ولم تتردد .. لقد ذكر أهل السير .. أن أصحاب رسول الله ﷺ .. إذا كان لأحدهم أيم .. لم يزوجها .. حتى يعلم .. هل الرسول له فيها حاجة أم لا ؟ .. فقال رسول الله ﷺ ذات يوم لرجل من الأنصار : يا فلان زوجني ابنتك .. قال : نعم ونعمين .. فقال : إنني لست أريدها لنفسني .. قال : فلمن ؟ قال : لجليبيب .. قال يا رسول الله : حتى استأمر أمها .. فأتاها فقال : إن رسول الله ﷺ يريد ابنتك .. قالت : نعم ونعمين .. زوج رسول الله ﷺ .. قال : إنه ليس يريد لها لنفسه .. قالت : فلمن ؟ قال : يريد لها لجليبيب .. قالت حلقى .. أجليبيب .. لا لعمر الله لا أزوج جليبيبا .. فلما قام أبوها ليأتي رسول الله ﷺ .. قالت الفتاة من خدرها : من خطبني إليكما .. قالوا رسول

الله ﷺ..قالت: أتردون على رسول الله ﷺ أمره .. ادفعوني إلى رسول الله فإنه لن يضيعني .. فذهب أبوها إلى النبي ﷺ فقال : شأنك بها فزوجها جليبيبا .. فدعاء لها النبي ﷺ وقال : ( اللهم صب عليهما الخير صبا .. ولا تجعل عيشهما كدا كدا ) .. فلم يمض على زواجه أيام .. حتى خرج النبي ﷺ في غزوة .. وخرج معه جليبيب .. فلما انتهى القتال .. وجد مقتولاً عند سبعة من المشركين .. فرضي الله عنك أيتها الفتاة الرائعة .. أي التزام بأمر رسول الله ﷺ كهذا .. أي طاعة لأمر نبي الله ﷺ كهذه .. نعم لقد تزوجت من رجل .. ليس من نوي النسب .. ولا من أهل الجمال .. بل كان رضي الله عنه كما يقول الرواة : دميمة الخلق .. ومع ذلك وافقت .. ثقة بأن أمر رسول الله ﷺ كله خير .. ولن تضيع .. وصدقت والله .. لم تضع .. فعوضها الله تعالى مالا وفيرا .. وخيراً كثيراً .. وتسابق إليها الخطاب .. يقول الله ﷻ ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً ﴾ .

فأين تلك الفتيات اللاتي خالفن شرع الله تعالى .. ولبسن الألبسة الفاضحة .. وركبن موجة الموضات الغربية .. أين هن عن مثل موقف تلك الفتاة المؤمنة !! التي استجابة لشرع الله تعالى .. فعوضها الله خيراً كثيراً .. وما أعد الله لها في الجنان خير وأبقى ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

نعم ... أخواتي الفاضلات .. نساء رباهن القرآن .. تقول عائشة رضي الله عنها كما عند أبي داود : والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار .. أشدّ تصديقاً بكتاب الله .. ولا إيماناً بالتنزيل .. لقد أنزل في سورة النور قوله تعالى في الأمر بحجاب المؤمنات { ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن { فسمعها الرجال من رسول الله ﷺ .. ثم انقلبوا إليهن .. يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم فيها .. يتلو الرجل على امرأته .. وابنته .. وأخته .. وعلى كل ذات قرابته .. فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها - وهو كساء من قماش تلبسه النساء - .. فاعتجرت به .. - لفته على رأسها - .. وقامت بعضهن إلى أزهرن فشققنها واختمرن بها .. أي الفقيرة التي لم تجد قماشاً تستر به وجهها .. أخذت إزارها وهو ما يلبس من البطن إلى القدمين ثم شقت منه قطعة غطت بها وجهها .. تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله في كتابه .. تقول عائشة : فأصبحن وراء رسول الله ﷺ معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان ..

الله أكبر .. أين نساؤنا عن سير هؤلاء المؤمنات ... أين المبادرة السريعة لتنفيذ أمر الله تعالى .. ما صبرن حتى يعدن إلى منازلهن فيعددن لهن أغطية .. بل شققن مرطن فاعتجرن بها .. قارني سرعة استجابة المؤمنات السابقات .. بحال بعض نساءنا اليوم .. ما مدى الاستجابة لأمر الله تعالى .. كم من الفتيات .. اللاتي وضعن العبادة على الأكتاف .. وكم من الفتيات اللاتي يتخاطبن مع الرجال الأجانب بتغنج وتكسر وميوعة .. والله تعالى يقول ( فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا ) .. وكم من الفتيات .. من تنمص حاجبيها .. ورسول الله ﷺ يقول ( لعن الله الناصمة والمتنصمة ) وكم من الفتيات من تلبس اللباس العاري أو الشفاف أو الضيق

الذي يصف حجم أعضائها ورسول الله ﷺ يقول : (صنفان من أهل النار لم أرهما ، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات ، مائلات مميلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة و لا يجدن ريحها ، وإن ريحها يوجد في مسيرة كذا وكذا ) ..وكم من الفتيات من تسافر من غير محرم من أجل جمع الدينار والدرهم ..وما حال أولئك الفتيات اللاتي رضين أن يختلطن بالرجال الأجانب في المستشفيات وفي بعض المؤسسات والشركات وإدارات البنوك !! لماذا .. لا نستجيب لأوامر الله تعالى؟!..لماذا لا نستسلم لشرع الله تعالى؟!.. ألا تريدن الجنة ..يقول الله تعالى : { تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم }  
فيا الله ..ما حالك يا أمة الله ..إذا دخلت الجنة ..عندما تتقابلين في أنهارها .. وتشربين من لبنها وعسلها ..بل وتنظرين إلى وجه الله تعالى ..فما أطيب عيشك .. وربك يسألك في الجنة :

يا فلانة .. هل رضيت؟!.. هل رضيت بما أنت فيه من النعيم ..؟!.. فتقولين : وما لي لا أَرْضَى وقد أعطيتني ما أرجو ..وأمنتني مما أخاف .. فيقول : أعطيك أعظم من ذلك .. ثم يكشف الحجاب عن وجهه فتنظرين إليه ..فلا تنصرفين إلى شيء من النعيم ما دمت تنظرين إليه ..{ كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين \* وما أدراك ما عليون \* كتاب مرقوم \* يشهده المقربون \* إن الأبرار لفي نعيم \* على الأرائك ينظرون \* تعرف في وجوههم نضرة النعيم \* يسقون من رحيق مختوم \* ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون \* ومزاجه من تسنيم \* عينا يشرب بها المقربون } ..  
ولكن لن يصل أحد إلى الجنة إلا بمدافعة شهواته .. فلقد حفت الجنة بالمكاره .. وحفت النار بالشهوات .. شهوات اللباس والأسواق .. شهوات الطعام والشراب ..كلها طريق إلى النار .. قال ﷺ كما في الصحيحين : ( حفت الجنة بالمكاره .. وحفت النار بالشهوات ) ..فاتعبي نفسك اليوم وتصبري .. لترتاحي غداً .. فإنه يقال لأهل الجنة يوم القيامة : { سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار } ..

### دور المرأة الصالحة في الحياة

أيها الأخوات : لست بحاجة أن أذكر لكن نماذج أخرى .. لكنني أستطيع أن أقول : كل بطولة صنعها الرجال في تاريخ الإسلام كان لتلك النساء المؤمنات .. دور مشرف فيها ..من الذي غرس البطولة في قلوب أولئك الرجال ..من الذي زرع الإيمان في نفوس أولئك الأبطال..إن الرجال الذين كانوا ينطلقون دعاة في الآفاق ..كانوا يأوون إلى بيوت فيها نساء كن عوناً لهم على ذلك .

أما اليوم فنحن أشد ما نكون حاجة إلى أن تعي النساء التي تضج قلوبهن بمعاني الخير ضخامة الدور الذي ينبغي أن يقمن به في هذا المجتمع ..من خلال :

- تميزها بمظهرها ..وبفكرها ..وأخلاقها وسلوكها ..كما روي في الحديث : ( لا تكونوا إمعة ؛ تقولون : إن أحسن الناس أحسنا ، وإن ظلموا ظلمنا ، ولكن وطنوا أنفسكم : إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساءوا فلا تظلموا )١

- أن تعي الدور العظيم في إعانة زوجها على طاعة الله تعالى .. قال صلى الله عليه وسلم: " رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل، فصلت وأيقظت زوجها فإن أبى نضحت في وجهه الماء )) [رواه أحمد وأبو داود] وتحثه على الابتعاد عن الكسب الحرام فقد كانت الزوجة الصالحة من السلف الصالح تقول لزوجها إذا خرج إلى عمله: (اتق الله ولا تطعمنا من حرام فإننا نصبر على الجوع ولا نصبر على النار)

- بث الوعي في صفوف النساء ..إننا في مواجهة هجمة من الإعلام على تنوعها ..وإذا لم توجد مواجهه من داخل صفوف النساء أنفسهن في بث الوعي وترسيخ المفاهيم ..فإن الكارثة ستكون ضخمة ، فإن النساء أبصر بالنساء ، وهن أدرى بما يدور بينهن ، وأدري بأحاديثهن ، والنساء أكثر تقبلاً من بعضهن ، فينبغي على من وجدت نعيم الطاعة ولذة الهداية ، وعرفت ضياء الحقيقة أن تتحمل المسؤولية في إبلاغ ذلك .

- أن تمارسي دورك الفعلي الحقيقي في تربية الأبناء .

ينبغي أن يفهم النساء المعنى الحقيقي للتربية ، تربية الأبناء كيف يكون؟!  
ينبغي أن نحررهن من التربية القاصرة على إعداد الطعام ، وتزين اللباس ، ومراجعة الدروس ؛ إلى غرس المعاني العظيمة ..من إجلال الله وتعظيمه ، ومحبة رسوله ﷺ وتوقيره ..المعاني العظيمة في أسلوب الحب في الله والبغض في الله ، حب من يحبه الله ، وبغض من يبغضه الله  
نسأل الله أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وكتبه

د . محمد بن عبدالله الهبدان

١ - من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ، قال الألباني : إسناده ضعيف وقد صح ، مشكاة المصابيح - ( : 5057 )